أَرُدُّ سـواءَ الـطَّـرْفِ عَـنْـكِ ومـا لـه
عـلـى أَحَـدٍ إلَّا عـلـيـكِ طَـريـقُ(١)
عـسـى إنْ حَـجَـجْـنـا أَنْ نـرى أُمَّ مـالـكٍ
ويَـجْـمَـعُـنـا بـالـنَّـخـلَـتَـيْـنِ مَـضـيـقُ(٢)
تَـتـوقُ إلـيـكِ الـنَّـفْـسُ ثُـمَّ أَرُدُّهـا
حـيـاءً ومـثـلِـي بـالـحَـيـاءِ حَـقـيـقُ(٣)
ولـو تَـعْـلَـمـيـنَ الـغَـيْـبَ أَيْـقَـنْـتِ أَنَّـنـي
ورَبِّ الـهَـدايـا الـمُـشْـعِـراتِ صَـديـقُ(٤)
سَـلِـي هَـلْ قَـلانـي مِـنْ عَـشـيـرٍ صَـحِـبْـتُـهُ
وهـل ذَمَّ رَحْـلـي فـي الـرِّفـاقِ رَفـيـقُ(٥)

١٦٠
ليلى المريضة

[الطويل]

يَـقـولـونَ: لَـيْـلَـى بـالْـعِـراقِ مَـريـضَـةٌ
فَـمَـا لَـكَ لا تَـضْـنَـى وأَنْـتَ صَـديـقُ(٦)؟!

---

(١) يومها كان الشاعر قد قصر النظر على حبيبته دون سواها من بنات جنسها، لذا فلا طريق لغيرها بالمرور على مخيّلته.

(٢) يتمنّى الشاعر أن يلتقي بأمّ مالك في موسم الحجّ إذا قضى اللّه تعالى ذلك حيث مضيق النخلتين.

(٣) ثمَّة شوق يقودني إلى ليلى، ولكن محاولات أبذلها لمنع نفسي من أن تجرّني لرؤياك، وذلك بسبب حياء حقيقي يحول دون توقي إليك.

(٤) يقصد بالهدايا المشعرات: حواسّ الإنسان وكل ما تقوم به حياة البشر. ويخاطب الشاعر حبيبته أنها لو كانت على علم حقيقي في داخلها ممّا يُضمره لها من حبّ وإخلاص، وتأكيداً لذلك يُقسم بخالق الإنسان السويّ أنه صديق يحبّ الخير لها.

(٥) وتأكيداً لمدعاه يطلب الشاعر من حبيبته أن تسأل عارفيه أنه مخلص فلم يتخلّ أحد ما عن صداقته له، ولم يذمّ له رفيق صفات سيئة أثناء مرافقته في السّفر.

(٦) يتناقل الناس خبراً مزعجاً أن ليلى مريضة في العراق، ديار الغربة، بعيدة عن =

شَفَى اللَّهُ مَرْضَى بِالْعِراقِ فَإِنَّني
على كُلِّ مَرْضَى بالْعِراقِ شَفِيقُ(١)

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى بِالْعِراقِ مَرِيضَةً
فَإِنَّيَ في بَحْرِ الْحُتوفِ غَريقُ(٢)

أَهِيمُ بِأَقْطارِ البِلادِ وعَرْضِهَا
ومَا لِي إلى لَيْلَى الغَداةَ طَريقُ(٣)

كَأَنَّ فُؤَادِي فِيهِ مُورٍ بِقَادِحٍ
وفيه لَهيبٌ سَاطِعٌ وَبُرُوقُ(٤)

إذا ذَكَرَتْها النَّفْسُ مَاتَتْ صَبابَةً
لَها زَفْرَةٌ قَتَّالَةٌ وَشَهِيقُ(٥)

سَقَتْنِيَ شَمْسٌ يُخْجِلُ البَدْرَ نُورُها
ويَكْسِفُ ضَوْءَ البَرْقِ وَهْوَ بَرُوقُ(٦)

= الأقرباء والأحبة، مستغربين عدم اهتمام الشاعر لهذا الخبر الجلل ظانين أنه سيصعق لمرضها فيمرض بدوره.

(١) يتمنى الشاعر أن يعمّ الشفاء كلّ مريض بالعراق، فينزل بديار ليلى وتستعيد عافيتها.

(٢) يتنازع الشاعر همّان عظيمان: مرض ليلى في العراق، ومرضها يجعله مريضاً، وصراعه مع الموت، فموجه طامٍ يتقاذفه في كلّ اتجاهٍ مع تياراته المتعارضة في دوّامة مُميتة.

(٣) يعبّر الشاعر عن تجربة التيه في أقطار البلاد وعرضها، لا يقرّ له قرار ولا يعرف له وُجهة، وطريق ليلى لا يهتدي إليه، ضائعة معالمه، ضبابية مسالكها.

(٤) و (٥) مورٍ: ملتهب. نتيجة ما سمع وما يعانيه من آلام نفسيّة، يُحسّ الشاعر أن قلبه في قراره لهبٌ متجدّد كلّما قذف بمصيبة زاد اضطرامه وسطع اشتعاله. ونفسه إذا ذكرت ليلى وما تعانيه ذابت وسالت من أجل حبّها، فتتابع الشهيق والزفير القاتلان على قلبه.

(٦) الماء سرّ الحياة وسببها، تلك الشمس التي يتمثل فيها الدفء والنور، ويقصد بذلك حبيبته، سقته طعم الحب الصافي الصادق فعاش، ونورها وضّاء يكسف كلّ نور ويخفي إشعاعها ضياء كلّ البروق.

غُـرابِـيَّـةُ الـفَـرْعَـيْـنِ بَـدْرِيَّـةُ الـسَّـنـا
وَمَـنْـظَـرُهـا بَـادِي الْـجَـمَـالِ أَنِـيـقُ(١)

وَقَـدْ صِـرْتُ مَـجْـنـونـاً مِـنَ الـحُـبِّ هَـائِـمـاً
كـأَنِّـيَ عـانٍ فـي الـقُـيُـودِ وَثِـيـقُ(٢)

أَظَـلُّ رَزِيـحَ الْـعَـقْـلِ مَـا أُطْـعَـمُ الـكَـرَى
وَلِـلْـقَـلْـبِ مِـنِّـي أَنَّـةٌ وخُـفُـوقُ(٣)

بَـرَى حُـبُّـهـا جِـسْـمِـي وَقَـلـبـي وَمُـهْـجَـتِـي
فـلـم يَـبْـقَ إِلَّا أَعْـظُـمٌ وَعُـرُوقُ(٤)

فَـلا تَـعْـذِلُـونِـي إِنْ هَـلَـكْـتُ تَـرَحَّـمُـوا
عَـلَـيَّ فَـفَـقْـدُ الـرُّوحِ لَـيْـسَ يَـعُـوقُ(٥)

وَخُـطُّـوا عـلـى قَـبْـرِي إِذا مِـتُّ واكْـتُـبُـوا:
قَـتِـيـلُ لِـحـاظٍ مـاتَ وَهْـوَ عَـشِـيـقُ(٦)

---

(١) يصف الشاعر المظهر الجمالي لحبيبته، فشعرها أسود فاحم، جميلة الوجه الوضاء المشرق بريّ الشباب ودفقه، والنظر إليها يسرّ العين بجمالها الأنيق.

(٢) العاني: العبد. وثيق: مقيّد. فلا عجب أن يجنّ الشاعر بمثال جمالي نادر الوجود وأن يهيم في الكون باحثاً عنه، لذا فإحساسه بالعبودية لمن أحبّ حمله على تتبّعه وكأنّه مشدود بقيد لا فكاك من سحره.

(٣) تتناوب الشاعر الهموم، وعقله يرزح تحت وطأة الوساوس تتجاذبه في كلّ اتّجاه، وهو لا يعرف للنوم طعماً، وقلبه يصدر أنيناً خافتاً لا ينقطع تجدّده، إنه أنين الألم.

(٤) تكشف أمر الشاعر عن معاناة طاحنة دمّرت كلّ كيانه المادي البشري ولم يبق من شكله الآدمي سوى العظم؛ فالجسم أكله الضنى والقلب عصره الألم والمهجة تاهت في مجاهل الضياع.

(٥) و (٦) يخاطب الشاعر عارفيه متمنياً عليهم ألّا يلوموه في حال موته طالباً منهم أن يترحّموا عليه، فهو لم يجنِ جناية ولم يسئ إلى أحد، والموت آتٍ لا محالة، ففقد الروح ليس يعوق. وهو يرجوهم أن يكتبوا وصيّته على أنه شهيد عينين عشقهما لسحرهما.

إلـى الـلّـهِ أَشْـكُـو مَـا أُلاقِـي مِـنَ الْـهَـوَى
بِـلَـيْـلَـى فَـفـي قَـلْـبِـي جَـوًى وَحَـرِيـقُ[١]

١٦١
إنجاز حق

[الطويل]

فَـيَـا لَـيْـتَ لَـيْـلَـى وَافَـقَـتْ كُـلَّ حِـجَّـةٍ
قَـضـاءً عـلـى لَـيْـلَـى وأَنِّـي رَفِـيـقُـهَـا[٢]
فَـتَـجْـمَـعَـنـا مِـنْ نَـخْـلَـتَـيْـنِ ثَـنِـيَّـةٌ
يَـغَـصُّ بِـأَعْـضَـادِ الـمَـطِـيِّ طَـرِيـقُـهَـا[٣]
فـأَلْـقـاكِ عِـنْـدَ الـرُّكْـنِ أَوْ جَـانِـبَ الـصَّـفَـا
ويَـشْـغَـلَ عَـنَّـا أَهْـلَ مَـكَّـةَ سُـوقُـهَـا[٤]
فـأُنْـشِـدُهَـا أَنْ تَـجْـزِيَ الـهُـونَ والـهَـوَى
وَتَـمْـنَـحَ نَـفْـسـاً طَـالَ مَـطْـلاً حُـقُـوقُـهَـا[٥]

(١) يوجّه الشاعر شكواه على ما جرّه الحبّ إلى نفسه من آلام وما سبّبه لقلبه من جوًى واشتعالٍ إلى اللّه تعالى، فهو القادر على تغيير مجرى الأحداث لصالح الشاعر بإرادته سبحانه وتعالى.

(٢) يتمنّى الشاعر لو أن ليلى تحجّ كلّ عام ليكون رفيقاً لها في ذلك الموقف حيث يلتقيان لا رقيب ولا عذول.

(٣) و (٤) الثنيّة من الطريق: المنعطف. أعضاد المطي: أفخاذ الإبل. وإذا ما التقى الشاعر وهو يمتطي راحلته بحبيبته بين النخلتين حيث منعطف الطريق الضيق الذي يعيق حركة المرور، حتى بأفخاذ الراحلات فيتوقّف كلّ من في المضيق ويكون اللقاء، ولو لحظات عند الركن أو جانب الصفا، حيث يلتهي كلّ حاجّ بما هو بصدده فلا يلتفتون إلينا في سوق مكة.

(٥) في هذا الموقف المزدحم يطلب الشاعر من حبيبته أن تُجازيه بحبّها بدل ما يلقى من هوان وذلّ بسبب حبّه لها، وأن تهبه وِصالاً مضيّعة حقوقُه بسبب المماطلة من جانبها.